

في شعائر الآسلام التعبدية والديانات السماوية الأخرى

دراسة مقارنة بناء على النصوص الشرعية

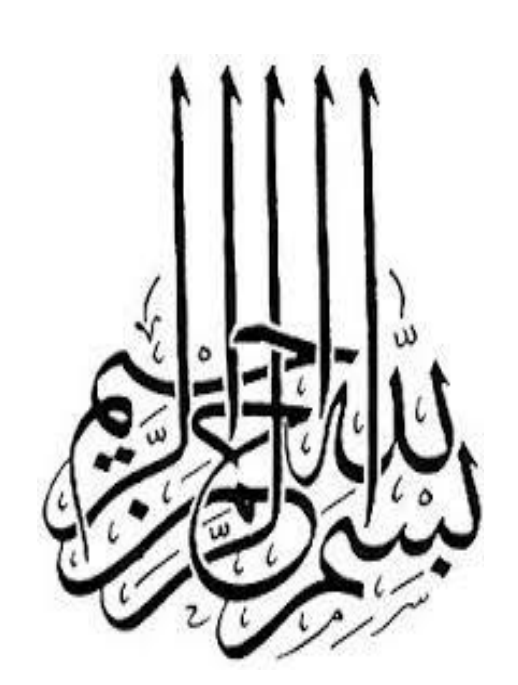
أ. جميلة بنت عيادة الشمري

الألوكة
www.alukah.net

الرحمة في شعائر الإسلام التعبدية والديانات السماوية الأخرى
(دراسة مقارنة بناءً على النصوص الشرعية)

إعداد/ أ. جميلة بنت عيادة الشمري
ماجستير في الثقافة الإسلامية
كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٣٥-١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾

(الكهف-١٠)

نموذج ملخص البحث

عنوان البحث:	الرحمة في شعائر الإسلام التعبدية والديانات السماوية الأخرى (دراسة مقارنة بناءً على النصوص الشرعية)
أهداف البحث:	– بيان أوجه الرحمة الإلهية بالخلق في الإسلام، من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية. – المقارنة بين رحمة التشريع الإلهي، والتشريعات الكتابية المحرفة أو التشريعات الوضعية ونقد مناهجها. – الرد العلمي والتطبيقي على من يدعي أن الإسلام دين الإرهاب والشدة والقسوة.
مشكلة البحث:	– ماهي مظاهر الرحمة في التكاليف الشرعية، أو الشعائر التعبدية في الإسلام؟ – أي من الإسلام أو الديانات الأخرى راعى الضعف البشري في التكاليف الشرعية؟ – ما حجم هذه المراعاة؟ هل هي متسقة مع قدرة البشر؟ وهل هي متوازنة بين الإفراط والتفريط؟
منهج البحث:	استخدمت في هذه الدراسة المنهج التكاملي، المتضمن: – المنهج التحليلي، في إبراز أوجه الرحمة بالخلق في الإسلام، من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية. – المنهج الاستنباطي، في استنباط معالم الرحمة الإلهية بالخلق في العبادات، من خلال تتبع آيات الرحمة في نصوص الكتاب والسنة. – المنهج النقدي والمقارن، في المقارنة بين رحمة التشريع الإلهي، والتشريعات الكتابية المحرفة أو التشريعات الوضعية.
خطة البحث:	يشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس. **مقدمة: وفيها:** – أهمية الموضوع. – أهداف الموضوع. – منهج البحث. – تقسيمات البحث. **المبحث الأول: أوجه الرحمة في تشريع العبادات الشرعية، وفيه مطلبان:**

	المطلب الأول: الرحمة في التدرج في تشريع العبادات. المطلب الثاني: الرحمة في التيسير ورفع الحرج. **المبحث الثاني: الرحمة بالخلق في تطبيق الشعائر التعبدية بلا إفراط ولا تفريط، وفيه مطلبان:** المطلب الأول: مناهج الأديان السماوية في التكاليف الشرعية. المطلب الثاني: مقارنة بين مناهج الأديان السماوية في تطبيق الشعائر التعبدية. **الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.** **الفهارس: وتشتمل على:** فهرس المصادر والمراجع. فهرس الموضوعات.

مُقَدِّمَة

وفيها:

- أهمية الموضوع.
- أهداف الموضوع.
- منهج البحث.
- تقسيمات البحث.

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، نبي الرحمة المهداة، والنعمة المسداة عليه أفضل الصلاة والسلام، أما بعد:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فإن شريعة الإسلام شريعة الرحمة العامة الشاملة، ورسول الإسلام هو الرحمة المهداة، أرسله ربه رحمة للعالمين. وصفة الرحمة فيها بارزة معالمها في الشعائر التعبدية، فالعبادة في الإسلام طاعة وشكر لله، وتأدية لحقوقه التعبدية الخالصة التي لا يعبد بها سواه، ولذلك لم يكن من طبيعتها تعنيت البشر، أو المشقة عليهم، أو إيذائهم، أو تحميلهم ما لا يطيقون ولم يكن إيذاء النفس أو الجسد غرضا لها، وإنما جاءت في حدود الطاقة البشرية، وفي مقدور الناس في حالاتهم العادية، ومن تضعف قدرته وتحمله عن ذلك بسبب مرض أو سفر أو عذر مماثل فقد جعل الله له تيسيراً ورفَع الحرج عنه، ورخص له في أداء العبادات كالصلاة، والصوم، والوضوء، وغيرها؛ رحمةً إلهيةً لكل نفس تواقة لرضا ربها وكمال دينها والفوز بالآخرة.

وحيث أن رحمته سبحانه قد وسعت كل شيء، وأن موضوع الرحمة في الإسلام أكبر من أن يضمه بحث صغير كهذا؛ كان هذا البحث (**الرحمة في شعائر الإسلام التعبدية والديانات السماوية الأخرى – دراسة مقارنة بناءً على النصوص الشرعية**)؛ لإبراز معالم الرحمة في الإسلام من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية؛ بياناً لبعض أوجه الرحمة الإلهية في تشريع العبادات الشرعية وتطبيقها، ومقارنةً بين منهج الاعتدال في الشريعة الإسلامية ومنهج الإفراط والتفريط في التشريعات الكتابية المحرفة؛ لتتضح من خلاله وسطية الإسلام التي ارتضاها سبحانه وتعالى وهدانا إياها وميزنا بها، ورفع عنا الآصار التي حكم بها على الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2].

أهمية الموضوع:

١. الرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، والدين الإسلامي دين الرحمة الإلهية، ونبيه نبي الرحمة، بعثه رحمة للعالمين.

[1] سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

[2] سورة الفاتحة، الآيتان (٦-٧).

٢. تدبر رحمة الله سبحانه وتعالى، في العبادات المفروضة على خلقه، والتخفيف عليهم بتدرجها في الحكم، ويسرها بما هو بحسب الوسع والطاقة.
٣. الرد على مدعي الحريات والحقوق ممن يروج على أن الإسلام دين القسوة والتشدد، بالكشف عن منهج التشريعات الكتابية المحرفة بين الإفراط والتفريط في العبادات، وإبراز منهج الرحمة بالخلق المتمثل بالوسطية والاعتدال في الإسلام.

أهداف الموضوع:

١. بيان أوجه الرحمة الإلهية بالخلق في الإسلام، من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية.
٢. المقارنة بين رحمة التشريع الإلهي، والتشريعات الكتابية المحرفة أو التشريعات الوضعية ونقد مناهجها.
٣. الرد العلمي والتطبيقي على من يدعي أن الإسلام دين الإرهاب والشدة والقسوة.

منهج البحث:

استخدمت في هذه الدراسة المنهج التكاملي، المتضمن:

١. المنهج التحليلي، في إبراز أوجه الرحمة بالخلق في الإسلام، من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية.
٢. المنهج الاستنباطي، في استنباط معالم الرحمة الإلهية بالخلق في العبادات، من خلال تتبع آيات الرحمة في نصوص الكتاب والسنة.
٣. المنهج النقدي والمقارن، في المقارنة بين رحمة التشريع الإلهي، والتشريعات الكتابية المحرفة أو التشريعات الوضعية.

الرحمة في شعائر الإسلام التعبدية والديانات السماوية الأخرى
(دراسة مقارنة بناءً على النصوص الشرعية)

تقسيمات البحث:

يشتمل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة وفهارس.

- **مقدمة: وفيها:**

– أهمية الموضوع.

– أهداف الموضوع.

– منهج البحث.

– تقسيمات البحث.

- **المبحث الأول: أوجه الرحمة في تشريع العبادات في الإسلام، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: الرحمة في التدرج في تشريع العبادات.

المطلب الثاني: الرحمة في التيسير ورفع الحرج.

- **المبحث الثاني: الرحمة بالخلق في تطبيق الشعائر التعبدية بلا إفراط ولا تفريط، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: مناهج الأديان السماوية في التكاليف الشرعية.

المطلب الثاني: مقارنة بين مناهج الأديان السماوية في تطبيق الشعائر التعبدية.

- **الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.**

- **الفهارس: وتشتمل على:**

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

.

المبحث الأول

أوجه الرحمة في تشريع العبادات في الإسلام

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الرحمة في التدرج في تشريع العبادات.
- المطلب الثاني: الرحمة في التيسير ورفع الحرج.

المطلب الأول

الرحمة في التدرج في تشريع العبادات

أولا: التدرج في فرض عبادة الصلاة

فُرضت الصلاة على ثلاث مراحل حتى استقرت على ما فيه اليسر والقدرة على أداءها دون مشقة، وهي:

المرحلة الأولى: فرض قيام الليل ثم نسخه

إن من أوائل ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(١)]، ذكر المفسرون أن الله تعالى فرض قيام الليل على المسلمين عامًا كاملاً، ثم نزل التخفيف في آخر السورة بعد عام كامل في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[(٢)]، فنسخ قيام الليل للمسلمين، وظل الأمر فرضًا على النبي ﷺ[(٣)].

المرحلة الثانية: صلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (**فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الحَضَرِ**)[(٤)]. قال ابن حجر –رحمه الله–: "إنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد، وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، وذكر الشافعي أن صلاة الليل كانت مفروضة، ثم نُسخت فصار الفرض قيام بعض الليل، ثم نسخ بالصلوات الخمس[(٥)].

المرحلة الثالثة: فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء

كان فرض الصلوات الخمس في ليلة الإسراء، كما ورد ذلك في قوله تعالى:﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ

---

(١) سورة المزمل، الآيتان (١، ٢).

(٢) سورة المزمل، الآية (٢٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد أحمد وآخرون، (١٤/ ١٦٤-١٦٧).

(٤) رواه البخاري في الجامع الصحيح، أول كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم الحديث (٣٤٦).

(٥) فتح الباري، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد، (١/٥٥٤).

﴿ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾[١]، يقول القرطبي -رحمه الله-: "وهذه الآية بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة"[٢].

جاء في حديث قصة المعراج بيان مراجعة النبي ﷺ ربه؛ من أجل تخفيف عدد الصلوات اشفاقاً على أمته ورحمةً بها، قَالَ ﷺ: (**ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ**). قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ**) إلى قوله ﷺ: (**فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**...)[٣]. وفي هذه المراجعة في تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى أن بلغت خمس صلوات، بيان تفضل الله على هذه الأمة ورحمته بها، وأنه ليس المقصود منها المشقة على العباد وإلحاق العنت بهم، وفيها بيان شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

ثانيًا: الرحمة في التدرج في فرض الصيام

ذكر ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره ثلاث مراحل متدرجة للصيام، وهي:

المرحلة الأولى: صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام عاشوراء

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثةَ أيامٍ، وصام عاشوراء. ثم أنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٤].

المرحلة الثانية: فرض الصيام على التخيير

فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً فأجزأ عنه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾[٥]، مع الترغيب في أفضلية الصيام، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٦] .

---

[١] سورة الإسراء، الآية (٧٨).

[٢] الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله التركي، (١٧٨/١٣).

[٣] رواه البخاري في الجامع الصحيح، أول كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم الحديث (٣٤٦).

[٤] سورة البقرة، الآية (١٨٣).

[٥] سورة البقرة، الآية (١٨٤).

[٦] سورة البقرة، الآية (١٨٤).

المرحلة الثالثة: الصيام على مَن شَهِدَ شهر رمضان

أنزل الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[١]. فأثبت الله عز وجل صيامَه على المقيم الصحيح، ورخَّص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام.[٢]

ثالثا: الرحمة في التدرج في فرض الجهاد

ذكر ابن القيم –رحمه الله– أن للجهاد أربع مراتب، وهي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين[٣]. ومن رحمته سبحانه بالعباد أنه لم يُفرض بمكة، ولم يُفرض دفعة واحدة، وإنما جاء فرضه متدرجاً وفق المراحل التالية:

المرحلة الأولى:

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٤]. ذكر ابن كثير –رحمه الله–: "أنه لما نزلت الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: علمت أنه سيكون قتال..."[٥]، فكانت الآيات إعدادًا للنفوس وتهيئة لأمر القتال.

المرحلة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٦]. قال ابن القيم –رحمه الله–: "ثُمَّ فرض عليهم قتال مَن قاتَلهم دون مَن لم يقاتلهم، وكان محرَّمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين"[٧]، فكانت هذه المرحلة تمثل مرحلة رد العدوان والدفاع عن النفس، والدين، والأرض.

---

[١] سورة البقرة، الآية (١٨٥).

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (١/٥٠٣).

[٣] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، تحقيق: الشيخ عبدالرزاق المهدي، ص (٤١٥-٣١٦).

[٤] سورة الحج، الآيتان (٣٩-٤٠).

[٥] تفسير القرآن العظيم، (٥/٤٣٣).

[٦] سورة البقرة، الآية (١٩٠).

[٧] زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (٢/٤٤٠).

المرحلة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[1]، يقول الرازي: "وذلك أمر بقتلهم على الإطلاق، في أي وقت، وأي مكان"[2]، فهو أمر بقتال المشركين بدون عدوان؛ لتطهير الأرض من الكفر وأهله؛ ولضمان وصول الدعوة إلى الناس، وإزالة العوائق من طريقها.

---

[1] سورة التوبة، الآية (٥).

[2] مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازي، (١٦/٢٣٣).

المطلب الثاني

الرحمة في التيسير ورفع الحرج

تميزت الشريعة الإسلامية كونها آخر الشرائع السماوية بخصائص ومميزات جعلتها قابلة للثبات والاستمرار، ومواكبة حياة الإنسان في كل عصر ومكان. ومن هذه المميزات رفع الحرج عن المكلفين والتيسير عليهم، ومن مظاهر الرحمة في التيسير ورفع الحرج عن العباد ما يلي:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٢]، ومن ذلك:

- نزول القرآن منجمًا.
- الدعوة إلى التوحيد أولاً.
- عدم نزول التكاليف بمكة المكرمة، ونزولها بالمدينة المنورة.

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾[٣]، وفيه عدم تكليف النفس البشرية بما فوق الطاقة؛ رحمة بها من الوقوع في الجزع وعدم الصبر والتحمل، كما حصل مع بني إسرائيل من قبل.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[٤]، وفيه التخفيف ومراعاة الضعف الإنساني، ولذلك صور عدة؛ منها:

- إباحة الفطر للمسافر والمريض.
- إباحة التيمم عند الضرورة.
- القصر والجمع في الصلاة.
- التخيير في الكفَّارات.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٤) سورة النساء، الآية (٢٨).

المبحث الثاني

الرحمة بالخلق في تطبيق الشعائر التعبدية بلا إفراط ولا تفريط

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول: مناهج الأديان السماوية في التكاليف الشرعية.**
- **المطلب الثاني: مقارنة بين مناهج الأديان السماوية في تطبيق الشعائر التعبدية.**

المطلب الأول

مناهج الأديان السماوية في التكاليف الشرعية

أولاً: منهج التوسط عند المسلمين

يقوم هذا المنهج على التوسط والتوازن في تشريع العبادات وأحكامها؛ فجعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة أمةً وسطاً، ودينها دين الوسطية العامة، ومنهجها المنهج المعتدل والمتوسط بين المنهج القائم على التفريط والجفاء، والمنهج القائم على الغلو والإفراط والرهبانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [1]، والأمة الوسط هنا هي خير الأمم وأجودها.

يتورع المسلمون عن التحليل والتحريم إلا ما كان بيناً وصريحاً بلا تفصيل، فالحلال ما أحل الله، والحرام ما حرمه سبحانه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [2]. أما ما كان فيه تفصيل فله أهله من العلماء المجتهدين يبينوا حالاته من الكراهة أو الإباحة أو الاستحباب وفق الدليل الشرعي.

ثانياً: منهج التفريط عند اليهود

وهذا المنهج يمثل التفريط في أسوأ صوره وحالاته، ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ منه في كل صلاة، ونسأله أن يجنبنا إياه بقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[3]. فقد غلب على بنود التوراة (المحرفة) تقديس المادة، ولا ذكر للآخرة، وما ورد فيها من وعد ووعيد فإنما هو متعلق بالدنيا فقط، فلا يعمل الشخص إلا لتحقيق كسب عاجل، أو خوفاً من عقوبة عاجلة؛ فسموا الربا فائدة، وسموا الخمر مشروبات روحية، بل وتحايلوا على الحرام ليحلوه كما فعلوا في صيد يوم السبت، بل بلغوا وطبقوا ماديتهم حتى في معرفة الله سبحانه وتعالى، ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[5].

---

[1] سورة البقرة، الآية (١٤٣).

[2] سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

[3] سورة الفاتحة، الآية (٧).

[4] سورة النساء، الآية (١٥٣).

[5] سورة البقرة، الآية (٥٥).

ثالثاً: منهج الإفراط عند النصارى

وهذا المنهج يمثل الإفراط والغلو، وهو الوجه الثاني من وجوه الانحراف عن الصراط المستقيم، ولذلك أُمِرْنا بأن نسأل الله أن يجنبنا إياه في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1]. وهو المنهج القائم على الروحانيات؛ وذلك بإعلائها وتمجيدها، والإغراق في مفهوم العبادة والرهبنة.

العبادة في النصرانية تقوم على العنت والمشقة وتكليف النفس الإنسانية فوق طاقتها كما في نظام الرهبنة، حيث ابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس البشرية مثل: تحريم الزواج، وكبت الغرائز، ومنع كل أنواع الزينة وطيبات الرزق، واعتبار ذلك رجسًا من عمل الشيطان، وبالغوا في العبادة، وأخرجوها عن كيفيتها، وعن المراد منها، وأصبحت رهبانية غالية مشوهة، مؤذية للأجساد، ابتدعوها من أنفسهم، بلا حجة ولا برهان[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[3]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[4]، فحرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام؛ فاتبعوهم.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٧).

(٢) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ص (٤٩١-٤٩٢). وانظر: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، عبد العزيز بن ناصر الجليل، ص (١٣٣-١٣٥).

(٣) سورة الحديد، الآية (٢٧).

(٤) سورة التوبة، الآية (٣١).

المطلب الثاني

مقارنة بين مناهج الأديان السماوية في تطبيق الشعائر التعبدية

أولاً: في العبادات عامةً

في الإسلام:

١/ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾[(١)]، فمن رحمته عز وجل أنه لا يكلف عباده المسلمين فوق طاقتهم، ولم يحمل عليهم عهداً يعجزون عن القيام به.

٢/ قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(٢)]، وفيها أمر الله سبحانه وتعالى أن يكون امتثال المؤمنون لأوامره بقدر استطاعتهم وجهدهم، دون مغالاة ولا تشدد، وبعيداً عن الإهمال والتقصير بحجة عدم الاستطاعة.

٣/ من أوصافه ﷺ أنه ما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما. فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا... جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: (**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)[(٣)]. فهذا موقف من مواقف الغلو؛ بسبب الرغبة الصادقة في التزود من الخير التي دفعتهم للسؤال عن أسلوب النبي ﷺ في عبادته، فلما علموا، رأوا أن ذلك قليل فقالوا ما قالوا. ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الاتجاه؛ فبادر بعلاجه، وصحح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه؛ وبيّن أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله سبحانه وتعالى، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل[(٤)].

في اليهودية:

إن التصور المادي الدنيوي لليهود قد أغرقهم في تقديس المحسوسات، واتخذوها طريقًا للرقي، وأصبحت القيم المادية محور الحياة، وتحول الإنسان في نظر هؤلاء إلى آلة تتحرك، ومعدة تهضم، وكائن يلهو. علمهم للدنيا، وعبادتهم

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٢) سورة التغابن، الآية (١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٤٨٧٤)

(٤) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص (٨٥).

لمآرب دنيوية، فإذا انتهت الدنيا فقد فاتهم كل شيء فهم بهذا أغرقوا في الشهوات، وعبَّدوا أنفسهم للماديات، فهم كمشركي قريش الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1]، لذلك فرض الله تعالى عليهم الإصر والأغلال ، فمن يذنب ذنباً كان يكتب هذا الذنب على عتبة باب داره. ولا تصح توبته إلا بقتل نفسه. وفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[2]، أي كما حمله من قبل على اليهود والنصارى، الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة.

في النصرانية:

أما عند النصارى، تقوم العبادة على وساطة رجال الكهنوت بين العباد والإله؛ ولذلك قيدوا العبادات بمكان معين هو الكنيسة ولا تجوز إلا فيه، وقيدوها بوسيط معين بين الله وعباده، وبمراسم وطقوس كهنوتية خاصة لا تقبل بدونها، وكل هذا يحتاج إلى أموال تدفع للأحبار والكهنة القائمين على شئون الكنيسة. وقد بالغ رجال الدين المسيحى فى العصور الوسطى فى فرض هذه الكهنوتية، وكان أعجب ما صنعوه أنهم اتخذوا من الجنة مصدراً للثروة، وصكوكاً تباع وتشترى، بما يسمى بعقيدة الاعتراف: وهو أن يبوح الإنسان لقسيس بما فعل من آثام، ثم يظهر له الندم ويؤكد له عدم العود إليها؛ فيقبل القسيس منه ذلك ويدعو له بخير ويصدر له صك الغفران [1].

ثانياً: الطهارة

في الإسلام:

الطهارة من الأمور الواجبة قبل أداء العبادات، والشدّة وعدم التيسير فيها توقع المسلم في الضيق وتجعل أداء العبادات صعباً، فأجاز للمسلم الوضوء بالماء الطهور حتى بماء البحر، وإذا اتّسخ الحذاء بالقذارة فيكفي مسحها بالأرض والصلاة فيهما، ويمكن إزالة النجاسة عن الثوب بسكب الماء عليه، فإذا أصاب بدن الإنسان أو ملابسه بقليل من النجاسة فعليه أن يزيلها بغسل موضع النجاسة فقط وليس جميع البدن أو الثوب. كما شرع الإسلام التيمم في حال عدم وجود الماء، فيستطيع المسلم التيمم بالتراب، والصلاة في أي مكان لا يوجد فيه ماء.

---

[1] سورة الجاثية، الآية (٢٤).

[2] سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

[1] انظر: العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص (١٤٩).

في اليهودية:

لا يجوز ذكر اسم الله في الصلاة أو في غيرها مادام الإنسان غير طاهر، وهي تقع يوميا، ويشترط لها الماء الطاهر الصالح للشرب، فالماء الذي لا يشرب لملوحة أو مرارة لا تصح به الطهارة عندهم، لذلك فماء البحر لا تصح به الطهارة لأنه لا يشرب. أما إذا انعدم الماء أو خيف استعماله فلهم الطهارة الترابية التي تعوض الطهارة المائية عند استحالة القيام بها، أما من يصيب ثوبه بنجاسة لابد من قطع الثوب.

في النصرانية:

كانت الطهارة أساسا في الصلاة، وكان السيد المسيح يلزم بالاغتسال من الجنابة قبل الصلاة، ثم غيرها البشر فعبروا عن الطهارة بتطهير القلب من الاهواء والشهوات، وعدوا ذكرهم اسم الرب طهارة في حد ذاته. والطهارة من النجاسات بالماء أو الاستجمار غير واجبة عند النصارى، والصلاة صحيحة تامة، ويقولون: إن الصلاة بالجنابة، والبول، والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين، واليهود، وأقرب إلى مخالفة الأمتين؛ فترتب على هذا الكثير من الآثار الصحية، والذوقية والجمالية.

ثالثاً: الصلاة

في الإسلام:

فُرضت الصلاة في البدء خمسين صلاة ثمّ خفّفت إلى خمس صلوات بأجر خمسين، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْداً وَخُطْبَتُهُ قَصْداً"[(١)]، فشرّع الإسلام التخفيف فيها وعدم الإطالة في الركوع والسجود؛ لأنّها تجمع المريض والكبير في السنّ والطفل الصغير، وأباح الجمع والقصر في الصلاة في السفر، والجو الماطر، وأباح قصر الصلاة في حالات الحروب والشعور بالخوف، وجعلت الأرض كلها مسجداً يصحّ للمسلم الصلاة في أي مكان فيها. كما أعفى النساء من الصلاة في حالة الحيض والنفاس، تيسيراً عليهن؛ لما يعانينه من آلام مزعجة يصعب معها الصلاة، ولم يفرض عليهن قضاؤها ودون أن ينقص من أجورهن شيئا، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: (**مَنْ هَذِهِ؟**)، قَالَتْ فُلانَةُ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا، قَالَ: (**مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**)[(٢)]، فهذا توجيه نبوي كريم نحو

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٨٦٦). والقَصْد: هو الوَسَط بين الطَّرفين.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح، أبواب التقصير، باب ما يكره من التشديد في العبادة، رقم الحديث (١١٢٤).

الاعتدال والتوسط، والتحذير من الغلو والإفراط، وأنه قد ينتهي بصاحبه إلى الانقطاع والتوقف، أو الزيادة على ما لم يشرعه الله عز وجل؛ وبالتالي يصبح مردوداً على صاحبه.

في اليهودية:

الصلاة بالعبرية تعني الإرهاق أو تعذيب الذات وإظهار الخضوع. وهي أهم الشعائر التي تقام في المعبد اليهودي. ولهم جملة صلوات متفرقة، ويجب على اليهودي تقديم الضحايا والقرابين والأحجار قبل التضرع للإله.

ولليهود ثلاث صلوات هي صلاة الصبح، وصلاة نصف النهار، وصلاة المساء. تتلى ارتجالاً حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية والعامة، إلا أن مضمون الصلوات خاضع للتغيير حسب التغيرات السياسية والأحداث التاريخية. وفي صلاة الصبح يشكر اليهودي الإله على أنه لم يخلقه أممياً، أي من غير اليهود. ويجب على اليهودي أن يغسل يديه قبل الصلاة، ثم يلبس شال الصلاة، وتمائم الصلاة، ويغطي رأسه بقبعة (اليرملكا). أما الصلوات حول حائط المبكى، والذي يعتبر أقدس الأماكن الدينية عند اليهود في الوقت الحاضر؛ فتأخذ شكل عويل ونواح. ولقد جاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التاسع من آب.

في النصرانية:

مع أن المسيح عليه السلام كان يصلي مثل صلاة بني إسرائيل، وحواريوه كانوا يعرفون الصلاة؛ لأنهم من بني إسرائيل، إلا أن الكثير من النصارى يرون أن الانتظام في الصلاة وكذلك الصوم توجيه اختياري وليس إجباري. إلا أنه للصلاة عند النصارى شرطان:

الأول: أن تقدم الصلاة باسم المسيح؛ لأنه الواسطة عندهم، وهذا أصرح ما يكون في عبادتهم له.

والثاني: أن يتقدم الصلاة الإيمان الكامل بالتثليث وغيره من العقيدة النصرانية.

رابعاً: الصيام

في الإسلام:

الصيام وإن كان فيه حفظ لصحة البدن، فيه أيضاً إعلاء للجانب الروحي على الجانب المادي، وهو تربية للإرادة وجهاد للنفس، وتعويد على الصبر، وكبح للغرائز. وهو فرض للمساواة بين البشر بكافة طبقاتهم ومستوياتهم الاجتماعية؛ ليشعر الجميع بالجوع والعطش، ويتراحموا بينهم، وليس مشقة لهم أو تكليف بما فوق المستطاع. قَالَ تَعَالَى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[1]، فكان سياق الآيات عن الصيام، بأن الله سبحانه يريد اليسر في تكليف عباده بالصوم. وعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟!**)، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (**فَلا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ؛ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ**)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: (**فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، وَلا تَزِدْ عَلَيْهِ**)... فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ"[2].

في اليهودية:

يصوم اليهود عدة أيام متفرقة في السنة ومعظمها مرتبطة بأحزان يهودية، قررها الحاخامات ولم يفرضها عليهم موسى عليه السلام، ولا اشتملت عليها أسفاره، فإذا ما صلى أحدهم ونام صام عن الطعام والشراب والنساء، وكذلك لبس الأحذية من العتمة إلى العتمة، أي: من غروب الشمس في اليوم السابق حتى غروب شمس يوم الصيام. ولهم أيام صوم أخرى تبدأ من شروق الشمس حتى غروبها ويمتنعون عن الأكل والشرب فقط.

في النصرانية:

الصوم عند النصارى هو الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته، مقتصرين على أكل البقول، وتختلف مدته وكيفيته من فرقة إلى أخرى. فالبعض يصوم حتى بعد منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم، والبعض منهم يمتنع عن الأكل والشرب من الصباح إلى المساء، وبعضهم يرى أنه لا يوجد صيام دوري على النصراني، بل يصوم الإنسان باختياره متى شاء. وهم يصومون يوم الأربعاء؛ لأنه يوم المشاورة على موت المسيح عندهم، ويوم الجمعة؛ لأنه يوم صلب المسيح، وصوم الميلاد وعدد أيامه (٤٣) يوماً تنتهي بعيد الميلاد، وأياماً أخرى غيرها وضعوها لمناسبات خاصة تختلف من كنيسة إلى كنيسة، وصيام الرسل وعدد أيامه تزيد وتنقص حسب الطوائف وتتراوح مدته بين (١٥-٤٩)يوما. وصوم العذراء ومدته (١٥) يوماً.

---

[1] سورة البقرة، الآية (١٨٥).

[2] رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم الحديث (١٩٢٥). ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، رقم الحديث (١١٥٩).

خامساً: الزكاة

في الإسلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[١]. وفيه حديث عن أداء فريضة الزكاة في الزرع و الثمار، وعدم الإسراف في أداء الحق منعاً، ولا الإسراف في أداء الحق زيادة عن المطلوب. والزكاة فهي رحمة غامرة للمسلمين جميعاً، أفراداً وجماعات؛ إذ أنها تحفظ مكانة الفرد في المجتمع، وتصون للجماعة وحدتها وعزتها وقوتها، وتنمي مشاعر الحب والإيثار والإحساس بالغير، وتقتل روح الأنانية عند الأغنياء[٢]. عن أبي هريرة ﷺ: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة. قال: (**تَعْبُدِ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ المكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**). قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: (**مَنْ سَرّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ فَلِيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**)[٣].

في اليهودية:

الزكاة عند اليهود واجبة على من بلغ سن العشرين عام، فيعطى عشر العشر إلى رجال الدين. إلا أن نشاط اليهود وحماسهم لجمع أموال الزكاة اختلف قوة وضعفاً، وبمرور الزمن أخذ التهاون في دفع هذا الحق مأخذه في نفوسهم، مما أزعج رجال الدين فتوعدوا أبناء دينهم بوقوع العذاب، وأن غضب الرب وسخطه سيحلان عليهم، ولكن العامة منهم لم يستجيبوا لنداء رجال الدين؛ مما زاد في اكتناز الأموال فأصبحوا أثرياء بفحش كبير، ومالوا إلى التأويل والتعليل ليمتنعوا عن الامتثال لهذه الفريضة، مما ترتب عليه آثار نفسية واقتصادية واجتماعية على الفرد والمجتمع.

في النصرانية:

الزكاة ملازمة لسائر الشرائع السماوية ومنها النصرانية، فعن عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾[٤]، إلا أنه لم يرد في الأناجيل لفظ الزكاة وإنما جاءت بمعنى الصدقة، لذلك لم يلتزم النصارى بأدائها. فالزكاة ركن أساس في الأديان السماوية كافة، ضلّ عنها اليهود والنصارى، بفعل التحريف والتأويل

---

[١] سورة الأنعام، الآية (١٤١).

[٢] انظر: أسرار العبادات في الإسلام، عبد العزيز سيد الأهل، ص (١٠٩-١١٠).

[٣] رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم الحديث (١٣٩٧).

[٤] سورة مريم، الآية (٣١).

لشرائع الله، فأخذوا كلام الله هزواً، وكنزوا المال حباً في الدنيا واستعلاءً؛ مما ترتب عليه ضعف المجتمع وتحوله إلى طبقات متطرفة بين التخمة الشديدة والثراء الفاحش وبين الجوع القاتل والفقر المستفحل بين الناس.

وليس من شكٍ أنّ الزكاة تُدْخل نشاطًا فكريًا وعقليًا على المعطِي والمعْطَى، وبالتالي يحصل لهما قوةٌ بدنية وحصانةٌ عضليةٌ شخصية، وبالتالي حصانةً وقوةً للمجتمع مادية وخُلقية بها يزول الفقر والمرض والجوع، وهذا ما تفتقده معظم المجتمعات النصرانية في العالم وعلى مر العصور.

سادساً: الحج

في الإسلام:

من رحمة الإسلام في الحج أنه لمن استطاع إليه سبيلاً، وأنه مرة واحدة في العمر، وهذا تيسير عظيم ورحمة كبيرة بالعباد ومراعاة لأحوالهم. والحج أيضاً هو أحد وسائل الرحمة التي أتيحت للمسلم ذكراً كان أم أنثى، تطهيراً وتكفيراً لهم من الذنوب والسيئات والتبرؤ منها، مصداقاً لقوله ﷺ: (**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُث وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**)[١]. والتوسطُ صفةٌ في جميع شعائر الحج، فعن ابْنُ عَبَّاسٍ قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: (**هَاتِ الْقُطْ لِي**)، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: (**بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**)[٢]. وقد قال أهل العلم في حجم الحصى الذي يرمى به أنه بين الحمص والبندق، فما زاد على البندق فهذا إفراط، وما نقص عن الحمص فهو تفريط، والعدل بين الإفراط والتفريط.

في اليهودية:

الحج عند اليهود هو القيام بزيارة بيت المقدس (أورشليم)، وهو واجب على الذكور ثلاث مرات في السنة، دون الإناث والقاصرين والعميان والعرجان والمسنين، والمريض في العقل والجسم؛ لأن الفرد عندهم يَعْظُمُ بكمال أعضائه وحسن ثيابه، وكل شخص عليه أن يقدم صدقة. ويستخدمون الآلات الموسيقية المختلفة في صعودهم إلى أورشليم؛ للتخفيف من متاعبهم. وبما أنه لم يعد الهيكل ولا المعبد موجوداً؛ فإنهم يحجون إلى حائط البراق الذي يسميه اليهود

---

[١] رواه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب فضل الحج، رقم الحديث (١٤٨٨).

[٢] رواه النسائي في سننه، كتاب: مناسك الحج، باب: التقاط الحصى، رقم الحديث (٣٠٥٧).

(المبكى)، كما أنهم لم يتقيدوا بتعاليم التوراة فاليهود ذكوراً وإناثاً يحجون مرتين في العام، ويبقون أسبوعاً في كل مرة ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة.

في النصرانية:

اتخذت النصارى زيارات كثيرة حجاً، وقد اتّجه النصارى في رحلة الحج إلى قبورِ الصالحينَ، ثمَّ تحوّلوا إلى القدسِ، واتجهوا كذلك في رحلة الحجّ إلى بيتِ لحم الذى وُلِدَ فيهِ المسيح عليه السلام، ويقصدونَ كنيسةَ القيامة، كما أنَّهم يَحُجُّونَ إلى كنيستيْ بطرس، وبولس في روما، وكذلك كنيسة لورد في فرنسا، ومدينة فاطمة في البرتغال. وتتمّ ممارسة الحج عندهم لدوافع مختلفة، كالحصول على المساعدة الروحية، أو تكفيراً للذنوب؛ إلا أن المشقة في رحلات الحج المتفرقة جعلت الكثير من النصارى يتركون هذه الشعيرة.

سابعاً: قراءة الكتب المقدسة

في الإسلام:

من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه، ومن أكثر ما يسهم في التعرض لرحمات الله سبحانه هو تلاوة القرآن وفهم وتدبر معانيه، وهي بركة في الدنيا والآخرة ومضاعفة للحسنات، ومن رحمة الإسلام أن جعل بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، وجعل من أهل القرآن أهل الله وخاصته. وييسر الإسلام هذه العبادة بحسب استطاعة الإنسان وعدم المشقة عليه في التلاوة أو الحفظ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَمْ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي شَهْرٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي عِشْرِينَ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي عَشْرٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: (**اخْتِمْهُ فِي خَمْسٍ**)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَمَا رَخَّصَ لِي"[١].

في اليهودية والنصرانية:

على الرغم من تقديس اليهود والنصارى لكتاب العهد القديم بما فيه من شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورثاء، بقسميه: التوراة وأسفار الأنبياء، وهم يعتبرون التوراة مرجع يرجعون إليه في الأمور العقائدية، إلا إنهم أخذوها ظاهراً ولم ينتفعوا بها، ولم يعملوا بأحكامها، كما قال تعالى عنهم: ﴿**مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ**

---

[١] رواه الترمذي في سننه، كتاب القراءات، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم الحديث (٣١٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب؛ يستغرب من حديث أبي بردة عن عبدالله بن عمرو.

ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]. فعرضوها للتحريف والتأويل وبدلوا كلام الله فيها، وقالوا أنه من عند الله وما هو من عند الله. ويتلوا اليهود بعضاً من النصوص الخاصة تقرأ وقوفاً في صمت في أجزاء معينة من الصلاة، والبعض الآخر يتلى باللغة المحلية، أو العبرية محاولةً منهم في إحيائها. وليس بإمكان النساء تلاوة الأدعية إلا في أجزاء من أدعية معينة مقصورة عليهن.

[1] سورة الجمعة، الآية (٥).

الخاتمة

بهذا الأسلوب المتزن كان الرسول ﷺ يوجه أمته دائمًا ويبين لهم أن دينهم دين يسر لا دين عسر، دين فطرة ورحمة، لا دين شقاء وعناء. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَنْ يُنْجِي أَحَدَاً مِنْكُمْ عَمَلَهُ**)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: (**وَلَاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**)[1]. ومعنى سددوا وقاربوا: اطلبوا السداد واعملوا به، وإن عجزتم عنه فقاربوه: أي اقربوا منه، والسداد والصواب وهو بين الإفراط والتفريط فلا تغلوا ولا تقصروا[2].

وبعد هذا البيان لبعض أوجه الرحمة الإلهية في العبادات التي امتن سبحانه بها على أمة محمد ﷺ نبي الرحمة، أختم الكلام عن الرحمة في العبادات بأن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله ﷺ هو الوسطية والتيسير، وأن لا يكلف الإنسان نفسه فوق وسعها في العبادة، ويحتسب أعماله الصالحة كلها عبادة لرضا الله وطلب رحمته سبحانه وتعالى، كما قال النبي ﷺ: (**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**) [3].

بقي التنويه إلى أن هذا البحث لم يفي بجميع أوجه الرحمة الإلهية بنا والتي وسعت كل شيء، ما علمناه منها وما لم نعلم؛ ولكنه خرج ببعض النتائج والتوصيات فيما يتعلق بجانب الرحمة بالخلق في العبادات والتكاليف الشرعية، وأبرزها:

١. الرحمة صفة لله سبحانه وتعالى، عامة وشاملة كل أحوال العبد، وكل العبادات التي يتقرب بها إلى ربه، بحدود طاقته ووسعه.
٢. من أوجه الرحمة الإلهية بالعباد التدرج في العبادات المفروضة؛ مراعاةً للنفس الإنسانية وقدرة الإنسان البدنية.
٣. الدين الإسلامي دين الرحمة واليسر ورفع الحرج حتى في مجال العبادات، رحمة بالمسلمين وتخفيفاً من ربهم.
٤. الدين الإسلامي دين الوسطية في العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وعدم تكليف النفس والجسد ما لا تطيق، وهو وسط عدل بين منهج الإفراط والتفريط.

---

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٨١٦).

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (١٦١/١٧-١٦٢).

[3] رواه النسائي في سننه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وصححه الألباني، رقم الحديث (٥٠٣٤).

٥. رفع الله سبحانه عن عباده المسلمين الآصار والأغلال التي فرضها على الأمم السابقة؛ رحمة بأهل هذا الدين، ويسر لهم سبل العبادة التي يتقربون بها إليه سبحانه.

أهم التوصيات:

١. دعم الأقسام العلمية في الكليات والجامعات الوطنية مادياً وتنظيمياً؛ لإقامة الندوات والمؤتمرات التي توحد المسلمين في كل مكان قلباً وقالباً، وتجمعهم تحت راية رحمة الشريعة الإلهية. والتعريف بمجالات أخرى من مكارم الشرع الإلهي للإنسانية جمعاء، وللمسلمين خاصة؛ مع محاولة جمع الإخوة في الإسلام في العالم تحت سقف بلاد الحرمين مهبط الوحي الإلهي وقبلة المسلمين.

٢. بيان رحمة الدين الإسلامي للعالم كافة، خاصة في خضم الظروف التي تمر بها الأمة الإسلامية، والعداء الموجه للدين الإسلامي ومحاولة إظهاره دِينٌ للعنف والإرهاب.

وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم منّا إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أسرار العبادات في الإسلام، عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٧٢م).

٣. تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٤. الجامع الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٥. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق شعيب الأرنؤوط- عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العلمية، نسخة إلكترونية، بدون طبعة وتاريخ.

٦. الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٧. زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: الشيخ عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م).

٨. صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٩. العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٣م).

١٠. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد، نسخة إلكترونية.

١٢. المجتبى من السنن (سنن النسائي)، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي النسائي، بيت الأفكار، نسخة إلكترونية.

١٣. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد الرازي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

١٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، المطبعة المصرية، الطبعة الأولى، (١٣٤٧هـ-١٩٢٩م).

١٥. الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار النفائس- دار البيارق، نسخة إلكترونية.

١٦. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

فهرس الموضوعات